أردت أن أعانقه غير أني أحسست بشلل غريب تسرب لذراعي، أردت أن أعاتبه فوجدت أن صوتي يخونني، أردت أن أرحل فوجدت قدمي تحت طوع إرادتي. أمسكني من طرف ثوبي الصيفي الأبيض المليء بالدوائر الوردية محاولا منعي عن قرار الرحيل، كنت ألاحظ أن شفتيه تتحركان كثيرا، ففهمت أنه نادم فعلا عن كل تلك الأخطاء التي ارتكبها في حقي، نادم فعلا لأنه رحل. وترك فراغه القاتل يتسرب لقلبي فباقي أعماقي، ساعدني كثيرا رحيله على وضع موازنة بين جحيم تواجده وسكون غيابه، لقد مات بالنسبة لي كل شيء، لم يعد وجوده يحرك شيئا غير أن غيابه يخلف سكينة لم أدر بنعمتها إلا وأنا أغادر المستشفى رابحة فرصة جديدة للحياة. لا زلنا في مقتبل العمر، التقينا قبل سنوات بمختبر التحليلات الطبية، كنت على أهبة الزواج من رجل مختلف الجنسية، غير أن هذا الشرقي غير مجرى حياتي، جعلني أفتعل كل شيء لأنفلت من الزواج، وألتحق به، لا شيء مميز فيه عدا ذلك الشعاع اللامع الذي يصدر من قلبي وتعكسه عيني كلما التقينا، إنها مضخة الحب بداخلي تولد طاقة غريبة تعطل كل قوى المنطق التي كنت أخضع اختياراتي لها، خرجنا يومها معا من المختبر وهو

يحدثني عن مرض والدته الذي أنهك جسدها والذي وحد بين داء السكري ومرض القلب المزمن. وكنت أحدثه عن قابلية الحياة لتحقيق المعجزات الطيبة، صلينا لأجلها معا، وأصبحت أضَمِّن في صلواتي أن يتغيب الزوج الأجنبي، أو يهرب، أو حتى يسرع ملك الموت إليه لينقله لعالم آخر غير الذي أتواجد فيه وهذا الفتى الشرقي، الحب يجعلنا مجرمين، ننتهك كل المقدسات لنحققه ونقول بأن كل شيء جائز في شريعته. لم يكن هينا علي أن أقنع والدي بتغيير عريس يوم زفافي، فشتان بين الأول والثاني، الأول غير مسار حياته من أجلي، ديانته، بلده، عمله، عاداته، تقاليده. حتى الوشم الذي يملأ جسده كان على استعداد لينزعه ويعيش مشوه الجسد إن أمرت بذلك، لكن كنت أحب الوشم الذي يغطي ذراعيه، كنت مولعة بشقرة شعره وبعيونه الخضراء، وبعضلاته المفتولة. رجل مكتمل يحمل بداخله روحا من الجنة! في تقابل معه يوجد الرجل الشرقي، صاحب العيون السوداء، والسحنة السمراء، والطول الفارع، والشعر الأشعث الذي لم يرس بره على لون، دواخله متقلبة أحيانا يكون مثاليا وأخرى فضا غليظا، كنت مستعدة لأغير من أجله عاداتي وتقاليدي وربما لو كان على ديانة أخرى لوافقته، وشتان بين من يتغير لأجلنا ومن نتغير لأجله، إن الإنسان لظلوم جهول فعلا.

خفيير ظل يراسلني كل يوم رغم أني تخليت عنه وطلب أن نعـوض الـزواج بالصـداقة ولكـل منـا الحـق في أن يحـتفظ بإحساسه دون أن يبوح به. لم يطلب مني أن أترك جهاد، كل ما قاله: "أنا في انتظارك متى احتجتني فأنا موجود". كان وداعنا حميميا ذرفنا خلاله الكثير من الدموع، وظلت المراسلات قائمة بيننا حتى اختفيت، كنت قبل النوم أتفحص علبة بريدي الالكتروني فأجد رسائله وبالنهاية لم أعد أتصفحها إلا نهاية الأسبوع، أصبحت مضطرة لمضاعفة جهود عملي، فدخل جهاد محدود ومصاريف علاج والدته في ارتفاع متزايد، ماذا قد يحقق دخل صحفية نزيهة أمام متطلبات الحياة؟ الحمد لله أن والديّ رغم أنّهما ليسا غنين لكنهما لا يحتاجان عوني.

صلت أمي كثيرا لله كي أتزوج رجلا غنيا، وصلى والدي كي أتزوج رجلا صالحا وعندما طرق خفيير باب بيتنا علما أن الله استجاب لدعوتيهما، لكن عندما تركت الغربي علمت أن الله استجاب لي. مهما اشتدت قسوة جهاد كنت أراها فحولة مكتملة، ولم ألحظ يوما أنها مجرد نزوة وستمر.